

تأملات في سورة الحجرات ٤

أمجد سمير

ان الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور بانفسنا وسيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له. واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله - [00:00:00](#)

يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة. وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء - [00:00:23](#)

واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا. يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما. اما بعد - [00:00:42](#)

فان اصدق الحديث كتاب الله تعالى واحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم اما بعد قال تعالى يا ايها الذين امنوا - [00:01:03](#)

لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تتابزوا باللقاب. بئس الاسم الفسوق بعد الايمان. ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون - [00:01:22](#)

يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم. ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدهم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه. واتقوا الله ان الله تواب رحيم - [00:01:43](#)

هاتان الايتان تضمنت الندائين الاخيرين في هذه السورة الشريفة المكرمة سورة الاداب في سورة الحجرات من نداءات الرحمن لاهل الايمان وقد اسلفنا ان السورة قد تضمنت خمس نداءات قد تضمنت خمسة نداءات - [00:02:02](#)

وكل نداء منها اختص بنوع من الاداب اما هذان النداءان فالنداء الاول فيه فيهما اختص بالاداب التي هي حق المؤمن الحاضر يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منه - [00:02:31](#)

ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن. ولا تلمزوا انفسكم ولا تتابزوا باللقاب. وكلها خاصة بالمؤمن الحاضرين واما النداء الاخير في هذه السورة وتضمن الاداب التي تخص المؤمن الغائب. اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا - [00:02:54](#)

اما قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم فنزلت في ثابت ابن قيس وكان رجلا قد اصاب اذنه وقر - [00:03:20](#)

يعني نوع صمم فلا يكاد يسمع النبي صلى الله عليه وسلم الا اذا اقترب منه جدا وكان الصحابة يعلمون ذلك فكان اذا حضر ثابت مجلس النبي صلى الله عليه وسلم تفسحوا له - [00:03:38](#)

كي يدنوا من النبي صلى الله عليه وسلم فيسمع كلامه ثم انه فاتته يوم ركعة من صلاة الصبح فانتهى الناس من صلاتهم واتخذ كل منهم مكانة وظن كل منهم بمكانه - [00:04:00](#)

حتى اذا اتى الرجل لا يجد مكانا فيقف. فلما انتهى ثابت من صلاته تخطى الناس وهو يقول تفسحوا تفسحوا. والناس يفسحون له حتى اذا لم يبق بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم الا رجل واحد - [00:04:21](#)

قال له تفسح فقال قد اصبت مكانا فاجلس. يعني انت قريب من النبي عليه الصلاة والسلام فاجلس في مكانك. قد اصبت مكانا فاجلس فجلس ثابت مغضبة فلما اشرقت الشمس غمز ثابت الرجل وقال من هذا؟ فقال الرجل فلان - [00:04:47](#)

فقال ثابت ابن فلانة يعني ينسبه لأمه وكان هذا الرجل يعير بأمه في الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحى فنزل قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم - [00:05:14](#)

ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ونزلت الآية في كلمة بكلمة واحدة قال الرجل فلان فقال ثابت من شدة غضبه من هذا الرجل ابن فلانة فنزل النهر - [00:05:40](#)

لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولما نهى الله عز وجل عن السخرية بالناس ارشدك الى سبيل ذلك والى المعنى الذي أنت فكرت فيه منعك وحجزك عن أن تتخذ غيرك سخرية - [00:06:00](#)

وهو أن تتفكر أن هذا الذي تسخر منه ربما كان عند الله عز وجل خيرا منك افتسخر من رجل هو عند الله عز وجل خير منك عسى أن يكونوا خيرا منهم - [00:06:25](#)

وقد تلمح أحد السلف هذا المعنى لما سأله يعني عن كان لا يحسد أحدا. فلما سأله عن ذلك قال أن كان من أهل الجنة فكيف أحصد رجلا من أهل الجنة. وأن كان من أهل النار فكيف أحصد رجلا من أهل النار؟ يعني أن كان من أهل الجنة فهو رجل خير - [00:06:44](#)

فمثل هذا لا يحسد. وأن كان من أهل النار افاحسده على حطام دنيا وهو يصير بعده إلى النار فايضا مثل ذلك لا يحسد عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن - [00:07:12](#)

ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يطعن بعضكم على بعض والهمز يكون بالفعل واللمز يكون بالقول. وقد نهى الله عز وجل عن الأمرين جميعا. وتوعد إلى ذلك بالويل ويل لكل همزة لمزة - [00:07:34](#)

الهمزة الذي يطعن في الناس بفعله واللمزة الذي يطعن فيهم بقوله ويدخل في هذا أيضا الإشارة يعني الفعل ولو دق يحاسب عليه المرء وربما كان عند الله عز وجل من الكبائر. وأنت لا تلقي له بالا - [00:07:57](#)

أن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً تهوي به في النار سبعين خريفا لا يلقي لها بالاً انظروا إلى عائشة رضي الله عنها لما أصابها ما يصيب النساء من الغيرة - [00:08:24](#)

من صفية رضي الله عن الجميع فقالت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك أنها وأشارت بيدها يعني قصيرة وكان فيها قصر ما تكلمت وما تلفظت وما تلفظت بلفظ. وإنما أشارت فقط إشارة - [00:08:48](#)

حسبك أنها وأشارت بيدها فقال لها صلى الله عليه وسلم لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لانتنته أو لمزجت وتحسبونه هينة وهو عند الله عظيم فالأمر الشرعية لا تقاس بعقل - [00:09:11](#)

يعني أنت لا تجلس وتقول أنا أرى هذا أمرا سهلا خفيفا. الله عز وجل يراه على غير ذلك وتحسبونه هينا. وهو عند الله عظيم ولا تلمزوا أنفسكم ولا تتنازوا باللقاب - [00:09:36](#)

قال أبو جبير فينا نزلت لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم علينا المدينة كان للرجل اسمان أو ثلاثة فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نادى الرجل قال تعالى يا فلان يعني يناديه بأحد أسمائه. وهو صلى الله عليه وسلم لا يدري - [00:09:54](#)

فيقال يا رسول الله أن هذا الاسم يغضبه فنزل قول الله عز وجل ولا تتنازوا باللقاب يعني لما تتنازوا باللقاب فصار كل منهم يلقب أخاه باسم يغضبه. وأتى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدري من ذلك شيئا - [00:10:20](#)

فكان يسمع الناس ينادي بعضهم بعضا بهذه الأسماء فيناديه باسمه. الذي سمع والاسم يغضب الرجل وهو صلى الله عليه وسلم لا يعلم ذلك فنزل النهي عن هذا ولا تتنازوا باللقاب - [00:10:41](#)

وقد فسرنا كثير من السلف ببعض معانيها ومن ذلك أن قالوا أي لا يقول أحدكم بصاحبه يا فاسق أو يا كافر أو يا أو يا يهودي أو يا نصراني وهذا واقع في دنيا الناس - [00:11:01](#)

من الناس وبعض الناس ربما آآ إذا أراد أن يصف أحدا مثلا بالبخل يقول له أنت يهودي مثلا وهذه أيضا من العظائم قال صلى الله عليه وسلم إذا قال المؤمن لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما - [00:11:19](#)

فإن كان كما قال والا حارت عليه. يعني رجعت عليه فهي من العظائم أيضا والتي يستهون بها الناس ولا يتنازوا باللقاب أي لا يقول

بعضكم لبعض يا فاسق او يا كافر. وقال بعض الصحابة كابن عباس - [00:11:44](#) انهم ظلوا فترة من الزمن على هذا الفعل ان الرجل ان كان نصرانيا او يهوديا ثم اسلم يقال له يا يهودي ويا نصراني حتى نزل النهر ولا تنابزوا بالالقاب وقال بعضهم اي لا تقول لاخيك يا حمار يا كلب يا خنزير - [00:12:05](#) ورأوا في ذلك اثر ان الله عز وجل يقول لهذا يوم القيامة الذي يقول لصاحبه يا حمار او يا كلب يقول له يوم القيامة تراني خلقتك حمارة تراني خلقتك كلبة - [00:12:28](#)

يعني يلوم قائل ذلك بنسب الاسم الفسوق بعد الايمان اما ان يكون المعنى بنسب الاسم الفسوق بعد الايمان يعني ما تفعلوه من ان الرجل اذا اسلم وامن وحسن ايمانه ان تظلوا تنادوه بدينه السابق اي يا يهودي ويا نصراني كما كان يفعل البعض كما اسلفت - [00:12:49](#) بنسب الاسم الفسوق بعد الايمان. يعني بعد ان امن بنسب الاسم الذي يدعى به هو اسم الفسوق او يكون المعنى بنسب الاسم الفسوق بعد الايمان يعني ايها المؤمنون. ان انتم فعلتم ذلك - [00:13:17](#)

فسخرتم وتنازتم ولمزتم نالكم اسم الفسوق فدخلتم في اسم الفسوق بعد ان كنتم في حظيرة الايمان هذا ايضا مما يدعو صاحب السخرية او صاحب اللمز او صاحب التناز بالالقاب ان يقلع عن هذا الاسم - [00:13:36](#)

ان فعلته تلك تخرجه من اسم الايمان يعني الايمان الكامل وتدخله في اسم الفسوق بنسب الاسم الفسوق بعد الايمان. ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون. قول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم - [00:14:06](#)

الحمد لله رب العالمين له الحمد الحسن والثناء الجميل واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له. يقول الحق وهو يهدي السبيل واشهد ان محمدا عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا - [00:14:28](#)

ما بعد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغضب بعضكم بعضا. اوجب احكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه؟ واتقوا الله ان الله تواب رحيم - [00:14:57](#)

وكما قدمنا ان هذه الآية تختص بالادب مع المؤمن الغائب فنأدى الله عز وجل اهل الايمان بوصف الايمان يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وفي الحديث اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث - [00:15:14](#)

واسلفنا في الخطبة السابقة كيف ان الناس اليوم جل كلامهم ظنون لا تكاد تجد رجلا حازما يستوثق من خبر قبل ان يقوله او ينشره. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك. اياكم والظن - [00:15:38](#)

فان الظن اكذب الحديث يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ماشي معلى. ولذلك اذا جاء ايضا اذا ظننت فلا تحقق لان التحقق من الظن ربما يوقفك على ما تخشى او على ما تكره - [00:16:00](#)

والتحقق من الظن لا يكاد يسلم لك الا بنوع معصية اخرى. نهى الله عز وجل عنها مباشرة بعد النهي عن الظن وقال سبحانه وتعالى ولا تجسسوا لان الظن يأخذ صاحبه الى التجسس حتى يتحقق من ذلك الظن - [00:16:38](#)

اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم لكن هنا مسألة وهي كما ان الشارع نهى المؤمن عن الظن كذلك ايضا نهى ان يقف المؤمن موقف الشبهة والريبة يعني لا تقف موقف شبهة او موقف ريبة - [00:17:05](#)

ثم بعد ذلك تنكر على من يظن بك السوء. نعم نقول له ظن باخيك الخير طالما انه لا يعرف عنه الشر. ولا يعرف عنه السوء فلا تظن به الا الخير - [00:17:28](#)

كما قال الشافعي التمس لاخيك عذرا فان لم تجد فقل لعل له عذر فطالما انك تجد من فعل اخيك طالما انك تجد من هذا الفعل تجد له في الخير محملا ينبغي ان تحمله على الخير - [00:17:43](#)

لكن كذلك لا تقف انت موقف الريبة او موقف الشبهة ثم تنكر على من يظن بك السوء فقد نهى ايضا الشارع عن ذلك بل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأ المنزه عن كل ريبة - [00:18:04](#)

لما اتت احدى امهات المؤمنين اليه ليلة في المسجد النبوي ثم قام ليرجعها فرآه رجلان من الصحابة فاسرعا الخطى يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه امرأة فاسرعا وقال على رسلكما انها انها امكم صفية - [00:18:22](#)

فبين له صلى الله عليه وسلم انه منزّه عن مثل ذلك ان يظن به سوء. فقال سبحانه الله يا رسول الله يعني لا يظن بمثلك سوء. فقال صلى الله عليه وسلم انما خشيت ان يلقي الشيطان في انفسكما شيئا فتهلكا - [00:18:45](#)

فلا تكن عوناً للشيطان على اخيك فكما ان الله عز وجل نهى عن ظن سوء بالمؤمن والمسلم. فكذلك لا يقف المسلم موقف الريبة ولا تجسسوا وكما قدمنا ان التجسس انما يسوق المؤمن اليه سوء الظن - [00:19:05](#)

ولا يغترب بعضكم بعضا. والغيبة من كبائر الذنوب. وحد الغيبة كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذكرك اخاك بما يكره وقالوا كما في حديث ابي هريرة رأيت ان كان في اخي ما اقول - [00:19:31](#)

وهذه الشبهة التي يعترض بها جل الناس اليوم فاكهة المجالس اليوم الغيبة شبه الله عز وجل المغتاب باكل الميتة باكل لحم اخيه ميتة لا يكاد يوجد مجلس واحد الا من رحم الله من مجالس المسلمين الا ويغتاب فيه رجل - [00:19:55](#)

ذكرك اخاك بما يكره. قال ورأيت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبتك هذه هي الغيبة اذا اغتاب رجل رجلا اخر فتقول يا اخي اتق الله لا تغتاب - [00:20:32](#)

يقول هو كذلك انا لا افتري عليه بل هذه صفته اليس هذا هو الذي يدار ويلاك في المجالس اشكل على الصحابة رأيت ان كان في اخي ما اقول؟ قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبتك - [00:20:50](#)

وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته يعني افترت عليه فالغيبة ذكرك اخاك بما يكره وان كان فيه بل هذه هي الغيبة ان تذكره بما يكره من صفاته التي هي فيه - [00:21:08](#)

هذه هي الغيبة ولما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم رأى اقواما لهم اظافر من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم. فقال من هؤلاء يا اخي يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس. ويقعون في - [00:21:28](#)

اعراضهم هذه عاقبة المغتاب الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وقال صلى الله عليه وسلم ايها الناس ان دمائكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا - [00:21:52](#)

وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر من امن بلسانه ولما يدخل الايمان قلبه لو لم يكن في الزجر عن الغيبة الا هذا الحديث لكفى يتهم النبي صلى الله عليه وسلم - [00:22:19](#)

الذي يغتاب المسلمين بان الايمان لم يدخل قلبه يا معشر من امن بلسانه. ولما يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فهى عن امرين كلاهما في الآية ولا تجسسوا - [00:22:38](#)

وهو اتباع العورات ولا يغترب بعضكم بعضا وهي الغيبة. لا تغتابوا المسلمين. ولا تتبعوا عوراتهم. ثم انظر الى العاقبة. فانهم من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته - [00:23:01](#)

ولا يغترب بعضكم بعضا واياك ان تحتقر كلمة تقولها رب كلمة تهوي بك في النار سبعين خريفا واسمعوا هذا الحديث عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انهم ذكروا يوما عند النبي صلى الله عليه وسلم رجلا - [00:23:23](#)

وقالوا انه لا يطعم حتى يطعم. ولا يرحل حتى يرحل اليه يعني انه رجل ضعيف. هذا معنى الحديث لا يطعم حتى يطعم. يعني لا يستطيع ان يأكل حتى يؤكله غيره - [00:23:55](#)

ولا يرحل حتى يرحل اليه. يعني لا يستطيع ان يستوي على راحلته حتى يقوم اليه اخر. فيركبه الراحلة ولا يرحل لا يركب راحلته حتى يرحل اليه يعني يرحل اليه اخر ليساعده. رجل ضعيف فقط هذا ما قاله - [00:24:17](#)

لكنهم قالوه على وجه التنقص منه ولم يكن حاضرا فقال صلى الله عليه وسلم لقد اغتبتموه فقالوا يا رسول الله ان فيه ما نقول. فقال حسبك ان تذكر اخاك بما فيه - [00:24:39](#)

وما هذه الكلمة رجل ضعيف ما هذه الكلمة في بحار كلماتنا وهذا اخر وهو ماعز رضي الله عنه لما غلبته نفسه فزنا. ثم جاء تائبا الى النبي صلى الله عليه وسلم. فرجمه النبي صلى الله عليه وسلم توصف - [00:24:59](#)

الصحابة قال رجل لآخر انظر الى هذا الذي ستره الله فابى الا ان يرجم رجم الكلب فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم فسكت ثم

مروا في طريقهم على جيفة حمار - 00:25:33

فقال اين فلان وفلان انزلا فكلنا من هذه الجيفة وقال غفر الله لك يا رسول الله وهل مثل هذا يؤكل؟ وقال صلى الله عليه وسلم لما اكلتموه من لحم اخيكم اشد من هذا. والله او الذي نفسي بيده انه الان في - 00:25:59

انهار الجنة ينغمس فيها رجل يرجم في زنا والآخر لم يقل الا كلمة ابت نفسه الا ان الا ان يرجم رجم الكلب. كلمة واحدة ثم انتبهوا الى معنى اخر في الحديث. النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا - 00:26:24

تراه دعا القائل وحده او دعا القائل والسامع الآخر لم يتكلم رجل قال لصاحبه هذه الكلمة والآخر يسمع ما تكلم. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الرجلين جميعا فالمستمع للغيبة شريك فيها - 00:26:56

وانما نظر المغتاب الى شر ما في وعائه فافرغه في وعائك ولو ان رجلا اعتاد الغيبة فلم يجد من يستمع اليه ووجد الناس في نفرة عنه لاقطع عن غيبته لكنه لما وجد الاذان مصغية. والقلوب مائلة نحوه ازداد في شره - 00:27:22

ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه اي كما كرهتم هذا طبع فاكرهوا ذلك شرعا كما كرهتم اكل لحم اخيكم ميتا. طبعاً منكم يعني الطباع تأنف فاكرهوا الوقوع في عرضه شرعا. فان هذا اعظم - 00:27:45

ووجه الشبه بين المسألتين ان الذي يأكل لحم اخيه ميتا الميت لا يستطيع عن نفسه دفعا. وكذلك المغتاب. فاذا اغتبت رجلا وهو غير حاضر لا يستطيع عن نفسه ولا عن عرضه دفعا. لانه لا يعلم اصلا انك تغتاب - 00:28:10

كالميت تماما. اذا اكلت لحمه لا يستطيع دفعا عن نفسه ثم ندب الله عز وجل اهل الايمان الى التقوى والتوبة واتقوا الله. ان الله تواب رحيم. اللهم اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا - 00:28:33

انا في امرنا وثبت اقدامنا انصرنا على القوم الكافرين. اللهم اهلك الظالمين بالظالمين. اخرجنا من بينهم سالمين. اللهم ابرم لهذه الامة امر رشد يعز فيه اهل طاعتك ويتوب فيه اهل معصيتك. ويأمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر. اللهم ولي امورنا خيارنا. ولا - 00:28:49

امورنا شرارنا. اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا. اللهم دبر لنا فانا لا نحسن التدبير. اللهم دبر لنا فانا لا نحسن التدبير اللهم دبر لنا فانا لا نحسن التدبير. اللهم قنا الفتن ما ظهر منها وما بطن. اللهم احقن دماء المسلمين. اللهم احقن دماء المسلمين - 00:29:09

اللهم احقن دماء المسلمين. ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اشهد ان لا اله الا الله - 00:29:29